ABES13

**أحاديث الأذكار والأدعية 102 - ما يقوله من لبس ثوبا جديدا**

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

**فالحديث عمَا يَقُولُهُ مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا جَدِيدًا.**

السنة في حق من لبس ثوبًا جديداً أن يحمد الله الذي كساه إياه ويسَّره له، وأن يدعوه سبحانه أن يرزقه خير هذا الكساء ويعيذه من شره.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ إِمَّا قَمِيصًا أَوْ عِمَامَةً، ثُمَّ يَقُولُ: **((اللَّهُمَّ لَكَ الْـحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**)) » رواه أبو داود والترمذي .

قوله **«إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا»** أي: لبِسَ ثَوبًا جَديدًا سماه باسمه أي يقول : اللهم إني أسألك خير هذا الثوب ، أو خير هذه العمامة ، أو خير هذا القميص ونحو ذلك.

قوله: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْـحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ**» يستشعر منة الله عليه حامدًا له سبحانه أن كساه هذا الثوب، وهو من نعم الله ، قال : {وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ}[النحل:81] ، وفي الحديث القدسي: ((كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ)).

قوله: «**أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ**»؛ من أعظم خيره أنه يستر عورة الإنسان ويواري سوءته ويجمِّل هيئته ويحسِّن مظهره، قال الله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا}[الأعراف:26].

قوله «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**»؛ من شره أن يُلبس على وجه الأشَر والكِبر والتعالي، ولهذا فإن من لا يزين باطنه بتقوى الله جلا وعلا لا تنفعه الزينة الظاهرة ، ولهذا قال جل وعلا: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ}[الأعراف:26].

**مَا يَقُولُهُ إِذَا رَأَى عَلَى صَاحِبِهِ ثَوْبًا جَدِيدًا.**

عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ رضي الله عنها قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ الله مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ الله : «**سَنَهْ سَنَهْ**»، قَالَ عَبْدُ اللـهِ: وَهْيَ بِالْحَبَشِيَّةِ: حَسَنَةٌ. قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ فَزَبَرَنِي أَبِي، قَالَ رَسُولُ الله : «**دَعْهَا**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله : «**أَبْـلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْـلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْـلِي وَأَخْلِفِي**» رواه البخاري.

هذا من لطف النبي عليه الصلاة والسلام وطيب معاشرته؛ راطنها بالحبشية لأنها كانت مع والديها في الحبشة وتعلَّمت قليلا من لسانهم فآنسها النبي وقال لها بالحبشية «سَنَة سَنَة» أي حسنة حسنة، فمن السنة إذا لبس الصغير ثوبًا جديدا أن يلاطَف وأن يُشاد بجمال ثوبه وحُسنه وطيبه يقال: ثوبك جميل، لباسك حسن، ونحو ذلك؛ ملاطفةً له ومؤانسة .

وجاء في روايةٍ عند الحاكم قال: «فراطنها بالحبشية»؛ أي أتى بهذه الكلمة مؤنساً لها ، لأنها عندها بعض الكلمات تعرفها من اللغة الحبشية. وهذا أيضاً فيه أن اللهجات الدارجة عند الناس أو اللغات إذا لقيت شخصاً فحدَّثته بكلمة أو كلمتين من لغته أو لهجته على سبيل المؤانسة له ترى لها أثرًا عليه.

وجاء في بعض الروايات أن النبي هو الذي كساها ذلك الثوب وألبسها إياه، فعَنْ أُمِّ خَالِدٍ رضي الله عنها أُتِيَ النَّبِيُّ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ فَقَالَ: ((مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ؟)) فَسَكَتَ الْقَوْمُ، قَالَ: ((ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ)) فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَلُ، فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا وَقَالَ: ((أَبْلِي وَأَخْلِقِي)) وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ فَقَالَ: ((يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَاهْ)). وَسَنَاهْ بِالْحَبَشِيَّةِ حَسَنٌ. رواه البخاري.

قالت: «**فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ فَزَبَرَنِي أَبِي**» أي: زجرني ونهاني **.**

فقَالَ رَسُولُ الله : «**دَعْهَا**» ، **ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله** -وهذا موضع الشاهد- «**أَبْـلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْـلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْـلِي وَأَخْلِفِي**» ؛ أمْرٌ بالإبلاء أي البسي إلى أن يصير خلِقًا باليًا، ثم اكتسي خلَفه بعد بِلائه، والمراد: أي تعيشين عمرًا يبلى فيه الثوب ثم تكتسين غيره، ثم أيضاً تُبلينه وتكتسين غيره، ثم ثوبا آخر تُبلينه وتكتسين غيره ، وهذا التكرار فيه دعاءٌ لها بطول العمر على خيرٍ وطاعة لله سبحانه. ولهذا عاشت عمراً رضي الله عنها وأرضاها.

وعَنْ أَبِي نَضـْرَةَ قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ إِذَا لَبِسَ أَحَدُهُمْ ثَوْبًا جَدِيدًا قِيلَ لَهُ: **«تُبْـلِي وَيُخْلِفُ اللَّـهُ تَعَالَى»** رواه أبو داود.

«**تُبلي**» هذا فيه دعاء له بأن يبقيه الله ويبلي الثوب ويخلفه الله خيراً منه، وهذا دعاءٌ له بطول العمر وبالبقاء حتى يبلى الثوب من طول لُبس صاحبه له، وبعد بلائه يخلفه الله عنه خيراً منه.

هذا وإنَّ من نعم الله العظيمة على عباده نعمة اللباس بأنواعه المختلفة وأصنافه العديدة؛ يقول الله تعالى مذكِّراً بهذه النعمة: { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (80) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (81) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (82) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ }[النحل:80-83]. فبيَّن جلَّ وعلا في هذه الآيات العظيمة نعمته على عباده؛ بأن جعل لهم سرابيل -وهي القُمصان ونحوُها من ثياب القطن والكتَّان والصوف- يتَّقون بها الحرَّ والبرد، ويتجمَّلون بها، ويسترون بها عوراتهم.

فلا ريب أنَّ اللباس نعمةٌ عظيمةٌ ومنَّةٌ كبيرةٌ يجب على عبد الله المؤمن أن يقوم بشكرها، وأن يستعملها في طاعة الله ورضوانه وما يقرِّب إليه، وأن يحذر أشدَّ الحذر من مخالفة أمر الله في اللباس في صفته ونوعه وشروطه وضوابطه وآدابه التي جاءت بها الشريعة.

وليحذر المسلمُ في هذا الباب من كيد الشيطان ومكره وطُرقه الخفيَّة لصدِّ الإنسان عن الحق في هذا الباب وإيقاعه في أنواعٍ من المخالفات، فقد بيّن الله تعالى أنَّ عداوة الشيطان للإنسان في هذا الأمر وغيره قديمة، وذكر سبحانه في القرآن احتيال الشيطان على الأبوين ووسوسته لهما ليُبدي لهما ما وُوري عنهما من سوآتهما، ودخل عليهما في هذا الأمر من طُرق خفيَّة، وظهر لهما بصورة الناصح الأمين، وحلف لهما على ذلك، ودلاَّهما بغرور، أي أنزلهما عن رتبتهما العليَّة التي هي البعدُ عن المعصية إلى الوقوع فيها.

يقول الله تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ(21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ(22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[الأعراف:19-23]

فتداركهما الله برحمته ومنَّ عليهما بعفوه فغفر لهما ذلك ، كما قال سبحانه: { وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}[طه:121-121]، هذا وإبليس مستمرٌّ في طغيانه، غيرُ مقلعٍ عن عصيانه، حريصٌ أشدَّ الحرص على إغواء الذريَّة كما أغوى الأبوين، ولهذا اتَّجه الخطاب في هذا السياق الكريم إلى الذريَّة للحذر من هذا المضلِّ الفتَّان من أن يفتنهم بالوسوسة كما فعل مع الأبوين، قال الله تعالى : { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ}[الأعراف:26] ، فذكَّرهم سبحانه بما منَّ عليهم ويسَّر لهم من اللباس الباطن والظاهر، فاللباس الباطن: هو تقوى الله، وهو يستمر مع العبد ولا يبلى ولا يبيد ما حافظ عليه العبد، وهو جمالٌ للقلب والروح ، واللباس الظاهر: هو الذي يستر به المسلم عورتَه ويواري به سوأته ويكون جمالاً للناس.

ثم قال سبحانه بعد تذكيره بهذه النعمة موجِّهاً الخطاب للذريَّة: { يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ }[الأعراف:27] ، فحذّر سبحانه الذريَّةَ من أن يفعل بهم الشيطان كما فعل بأبيهم بأن يزيِّن لهم المعصية ويرغِّبهم فيها، وأخبر سبحانه أنَّ هذا العدوَّ يراهم من حيث لا يرونه، قال مالك بن دينار: «إنَّ عدوًّا يراك ولا تراه لشديد المؤنة؛ إلا من عصم الله» .

وإذا كان هذا العدوُّ قد تمكَّن ببالغ كيده وتوالي وسوسته أن يُخرج الأبوين من الجنَّة؛ فلأن يتمكَّن من إيصال شيء من هذه الوساوس إلى الذريَّة من باب أولى.

وبهذه اللفتة القويَّة حذّر تعالى بني آدم منه بالاحتراز الدائم من كيده ووسوسته، وختم سبحانه الآية بقوله: {إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}؛ أمَّا المؤمنون فليس له سلطان عليهم { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ }[النحل:100] ، ولهذا فبِقدر ضعف الإيمان في الإنسان يكون نفوذُ الشيطان إليه.

ثمَّ إنَّه تبارك وتعالى خاطب بني آدم خطاباً آخر في هذا السياق له تعلّقٌ باللباس فقال سبحانه: { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }[الأعراف:31]. ولهذه الآية وما ورد في معناها من السنة يستحب التجمل عند الصلاة، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد، والطيب لأنه من الزينة، والسواك لأنه من تمام ذلك.

وأسأل الله أن يوفقنا أجمعين لكل خير، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب .